

أضواء البيان

@ 104 .

قوله تعالى : { ذَالِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ لَمَّ يَكُ مُغَيِّرًا نَّعْمَةً أَنْعَمَهَا
 عَلٰى قَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ
 * كَذٰبٌ ءَالٍ فِرْعَوْنِ وَالَّذِيْنَ مِّنْ قِبَلِهِمْ كَذَّبُوْا بِآيٰتِ رَبِّهِمْ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوْبِهِمْ وَأَعْرَفْنَاهُ الْاِلٰهَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كٰنُوزٍ
 طٰلَمِيْنَ * اِنَّ شَرَّ الدّٰوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَهُمْ لٰ
 يُؤْمِنُوْنَ * الَّذِيْنَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُوْنَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ
 مَرَّةٍ وَهُمْ لٰ يَتَّقُوْنَ * فَاِِمَّا تَثْقَفْنَاهُمْ فِى الْاَحْرَابِ فَشَرِّدْ
 بِهِمْ مَّنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّاهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ * وَاِِمَّا تَخٰفُنَّ مِنْ قَوْمٍ
 خِيٰاَنَةً فَاَنْبِذْ اِلَيْهِمْ عَلٰى سَوَآءٍ اِنَّ اللّٰهَ لَآ يُحِبُّ الْخٰاِنِيْنَ *
 وَاِِىَّ حٰسِيْنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَبَقُوْا اِنْزٰاهُمْ لَآ يُعْجِزُوْنَ *
 وَاَعِدُّوْا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبٰاطِ الْاَخِيْلِ
 تُرْهِدُوْنَ بِهِمُ عَدُوَّ اللّٰهِ وَعَدُوَّكُمْ وَاٰخِرِيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَآ
 تَعْلَمُوْنَهُمْ اللّٰهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيْلِ
 اللّٰهِ يُؤَفِّىْ اِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ لَآ تَظْلَمُوْنَ * وَاِنْ جَدَحُوا لِلسَّلٰمِ
 فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلٰى اللّٰهِ اِنَّزٰاهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ *
 وَاِنْ يُرِيدُوْا اَنْ يَّخْدَعُوْكَ فَاِنَّ حَسْبَكَ اللّٰهُ هُوَ الَّذِىْ اَيَّدَكَ
 بِبَنٰصِرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِيْنَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوْبِهِمْ لَوْ اَنْفَقْتَ مَا فِى
 الْاَرْضِ جَمِيْعًا مَّا اَلَّفَفْتَ بَيْنَ قُلُوْبِهِمْ وَاَلَّفَفْتَ
 بَيْنَهُمْ اِنْزٰاهُ { . .

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه .
 وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله : { اِنَّ اللّٰهَ لَآ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
 حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذْ اٰرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَاَلَّا
 مَرَدَّ لَهٗ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَاَلِ } ، وقوله : { وَمَا اَصٰبَكُمْ
 مِّنْ مَّصِيْبَةٍ فَاِيْمًا كَسَبْتُمْ اَيْدِيْكُمْ وَيَعْفُوْا عَنْ كَثِيْرٍ } ، وقوله : {
 مَّا اَصٰبَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ وَمَا اَصٰبَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ
 نَّفْسِكَ } إلى غير ذلك من الآيات . ! 77 ! قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ }

حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . . .

قال بعض العلماء : إن قوله : { وَمَنْ اتَّبَعَكَ } في محل رفع بالعطف على اسم الجلالة ، أي حسبك □ ، وحسبك أيضاً من اتبعك من المؤمنين . . .

وممن قال بهذا . والحسن ، واختاره النحاس وغيره ، كما نقله القرطبي ، وقال بعض العلماء : هو في محل خفض بالعطف على الضمير الذي هو الكاف في قوله : { حَسْبُكَ } وعليه ، فالمعنى حسبك □ أي كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين ، وبهذا قال الشعبي ، وابن زيد وغيرهما ، وصدر به صاحب الكشاف ، واقتصر عليه ابن كثير وغيره ، والآيات القرآنية تدل على تعيين الوجه الأخير ، وأن المعنى كافيك □ ، وكافي من اتبعك من المؤمنين لدلالة الاستقراء في القرآن على أن الحسب والكفاية □ وحده ، كقوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّنَاهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } ، فجعل الإيتاء □ ورسوله ، كما قال : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } ، وجعل الحسب له وحده ، فلم يقل : وقالوا حسبنا □ ورسوله ، بل جعل الحسب مختصاً به وقال : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } ؟ فخص الكفاية التي هي الحسب به وحده ، وتمدح تعالى بذلك في قوله : { وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } ، وقال تعالى : { وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبُكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِيكَ بِرِضْوَانِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } ففرق بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعباده . . .
وقد أثنى سبحانه وتعالى على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه